الفصل الثالث:
مرحلة الطفولة وإسعاد الوالدين لطفلهما

تلك مرحلة هامة من مراحل نمو الطفل. ولكى يسهل تناولها، نقسمها إلى قسمين، ويبدأ القسم الأول مع بداية العام الأول لحياة الطفل، إلى أن يصير عمره ست سنوات. ويبدأ القسم الثانى من بداية دخوله المدرسة الابتدائية إلى أن يحصل منها على الشهادة الابتدائية.

ومع بداية القسم الأول من هذه المرحلة، تستمر الأم في إدخال السعادة على طفلها، والاهتمام به، وبكل ما يلزمه من وسائل النمو الطبيعى.. فهى تهتم بصحته في المقام الأول، وبكافة أحواله بصفة عامة. وهى تحتضنه بعد فطامه، وبعد أن عودته على الأكل المفيد المنظم الصحى، تحت إشرافها وإشراف أبيه، وإشراف طبيب مختص إذا اقتضى الأمر؛ لمتابعة حالته الصحية العامة.. لكن اهتمام الأم في هذه المرحلة بطفلها - ليس مقصورا على الغذاء البدنى المادى. فالغذاء الروحى أيضا على غاية كبرى من الأهمية في هذه الفترة. فالواجب على الأم أن تزود طفلها وتجمله في هذه السن المبكرة وبالتدريج - حسب احتياجاته في النمو - بالمعانى السامية. فهى تعلمه الأبوة كما تعلمه الأمومة؛ فكما تكثر له من ذكر كلمة " ماما "، تكثر له أيضا من ذكر كلمة " بابا ". وعليها أن تجعله يتعلق بأبيه كما تجعله يتعلق بأمه، وأن يرضى أن يقبله أبوه وينعم بأحضانه، كما يرضى أن تقبله أمه وتنعم بأحضانه. وعليها كذلك أن تعرف طفلها بأقارب أبيه كما تعرفه بأقارب أمه؛ فيتعلم منها كلمة " عمو " كما يتعلم منها كلمة " خالو ".. ومن الواجب على الأم أيضا

أن تعلم طفلها - وبمساعدة أبيه - بعض القيم الروحية، والمبادئ الأخلاقية، في جرعة مناسبة لسنه الصغير. فيتعلم منها الخير والشر، والحسن والقبيح، والنافع والضار. وذلك عندما يتخطى النصف الأول من العام الثانى. إذ يتعلم بالإضافة إلى ذلك - الحلال والحرام بأسلوب سهل مختصر. فكلمة. " كخ " يمكن أن تشمل في نظر الطفل في هذه السن: الشر والقبيح والضار والحرام، وكلمة " حلو " أو " جميل " تعنى في نظره: الخير والحسن والنافع والحلال. وكلمة " أُف " تعنى عنده كل ما هو منفر أو قذر وغير محتمل. وتكبر هذه الرموز في نظره وتتعاظم كلما تقدم في السن..

وهكذا ينبغى على الأم أو من يحل محلها - كالمربية أو المعلمة - أن تغرس في نفس طفلها - أو طفلتها - حب الخير وبغض الشر قبل كل شيء [1].

واستكمالا لدور الأم في المرحلة الأولى من حياة الطفل، يجب عليها - بمساعدة الأب أن تعرفه بما حوله من الأشياء المحيطة به، والأشياء التي يمر بها وتمر به. والعبء الأكبر في ذلك الجهد يقع على الأم نظرا لارتباط الطفل بها في هذه المرحلة أكثر من الأب. والأب يسهم في هذا الدور بطريقة مباشرة أو غير مباشرة حسب مقتضيات الأحوال..

والعادات التي تتكون في زمن الطفولة - يكون لها تأثير فعال في مستقبل الطفل. فلنعوده إذن على كل ما من شأنه اتباع النظام، والطاعة والمواظبة، والنظافة، والتأدب، فيما بينه وبين إخوته، ومع والديه ومع كل من يعيش معهم[2].

(1) بتصرف من ص 345 من كتاب تربية الطفل تأليف مبل بك. رئيسة إصلاحية البنات.
(2) بتصرف من ص346، ص347 من المرجع السابق.

ولأقوال الأم وأفعالها تأثير كبير في نفس الطفل. وقد يتنقل معه هذا التأثير طوال طفولته، بل قد يظل معه طوال حياته[1]. وعلى سبيل المثال. يجب على الأم ألا تشعر طفلها بأن الظلام مخيف. حتى لا يسيطر عليه الرعب إذا دخل مكانا مظلما، أو انقطع النور من حوله فجأة فيظل ذلك معه حتى كبره بل ربما طوال حياته.. وقد يميل الطفل إلى العناد. وعلى الأم في هذه الحالة ألا تشجعه على ذلك، وكذلك الأب؛ حتى لا يزداد ذلك العناد وينمو عنده ويصبح عادة لا يستطيع بسهولة التخلص منها. ويتجلى ذلك عند الطفل في صورة بعض السلوكيات، كرفضه مثلا نوعا من الطعام. وهنا يجب ألا تلح عليه الأم ليتناوله حتى لا يلجأ إلى العناد ويمتنع عن تناول هذا الطعام فتتأثر بذلك صحته. بل على الأم أن تعرضه عليه مرة أخرى أو مرات حتى يتعود عليه.. وكأن يلجأ الطفل إلى العناد إذا ضغطت عليه الأم أو الأب حتى يذاكر أو يدرس وهنا أيضا يجب ألا تضغط عليه أمه أو أبوه حتى يذاكر لأن عناده في هذه الحالة قد يؤدى إلى تأخره في الدراسة. بل عليهما في هذه الحالة أن يحببا إليه المذاكرة والاطلاع والدراسة دون ضغط[2]..

وهناك اعتقاد خاطئ بأن الطفل غير القادر على الكلام في هذه الفترة - يكون محدود الإدراك، قليل الفهم، ويمكن التأثير عليه بسهولة. ولكن الواقع يؤكد أن قدرة الطفل على الفهم في هذه الحالة -

(1) بتصرف من ص140 من كتاب رعاية الأم والعناية بالطفل في الصحة والمرض - للدكتور زكى شعبان، والدكتور إبراهيم مجدى، والدكتور إسماعيل صبرى - الطبعة الثالثة.

(2) ص140 بتصرف من كتاب رعاية الأم والعناية بالطفل في الصحة والمرض - الطبعة الثالثة للدكاترة: زكى شعبان وإبراهيم مجدى وإسماعيل صبرى.

تفوق كثيرا قدرته على الكلام[1]. وإذن فيجب معاملة هذا الطفل على هذا الأساس المؤكد. فهو يحتاج في هذه الحالة إلى التعامل معه بصدق في كل المواقف التي يمر بها وتمر به؛ فإذا عرضته أمه على الطبيب مثلا فلتخبره بأنه طبيب ولا تقول له إنه " عمو " ظنا منها أنه سوف يخاف أو يمتنع عن الدخول إلى الطبيب. وذلك حتى لا يعتقد الطفل بعد ذلك أن أمه تكذب عليه فلا يأخذ كلامها وتعليماتها وتوجيهاتها له مأخذ الجد. وفى هذا الإطار يجب على الأم - أو الأب - إذا عاقبت طفلها - بأى عقاب لتقصيره في موقف ما - أن تخبره بسبب وقوع هذا العقاب عليه، حتى لا يشعر بظلم من أمه أوأبيه، فتتأزم العلاقة بينه وبينهما... ومن ناحية أخرى يلاحظ أن الإسراف أو تكرار المكافأة من الأب أو الأم للطفل على قوله أو فعله الصحيح تجعل الطفل ينتظر في كل مرة أن يأخذ المكافأة. فتتحول المكافأة في نظره إلى رشوة يقول من أجلها القول الصحيح أو يفعل الفعل الصحيح؛ وبدونها لا يقول ولا يفعل الصحيح. وبذلك تفسد أخلاقه، تماما كتكرار الضرب على شيء خاطئ يفعله أو قول خاطئ يقوله - فإنه يخطئ مرارا ويتوقع الضرب ويقبله. وذلك يجعله غير عابئ بقول أو فعل الصواب، ويكون بذلك عرضة للفساد الخلقى[2]..

وهذا الاهتمام الشديد بسلوكيات الطفل المختلفة يبدأ من سن الثالثة. وهنا يجب على الأم - وكذلك الأب - أن تراقب طفلها منذ صغره. وتنهاه عن السلوك غير الحسن. فالطفل يفهم من نظرات أمه وأبيه، ومن كلامهما رضاهما أو غضبهما من قوله أو فعله[3].

(1) ص141 بتصرف من كتاب رعاية الأم والعناية بالطفل في الصحة والمرض - الطبعة الثالثة للدكاترة: زكى شعبان وإبراهيم مجدى وإسماعيل صبرى.
(2) بتصرف وإختصار من المرجع السابق ص 142.
(3) بتصرف من ص318من كتاب رعاية الطفل للدكتور أحمد خليل عبد الخالق - الطبعة

وجدير بالذكر أنه لا يجب على الأم أو الأب معاقبة طفلهما إذا أخطأ أول مرة. بل عليهما إرشاده مرارا إلى الفعل الصحيح أو القول الصحيح حتى يتعود عليه. فإذا استمر الطفل في خطئه ولم يستمع إلى إرشاد أمه وأبيه - فهنا يجب أن يعاقب، ولكن بغير الضرب؛ فالعقاب المعنوى أفضل من العقاب المادى، وله أوجه كثيرة، كحرمانه من الفسحة مع والديه أو منع المصروف عنه في يوم خطئه.. وإذا لجأ الطفل إلى البكاء كحيلة يحتال بها على أمه أو أبيه للإفلات من العقاب أو لإجبار أمه أو أبيه على العمل برأيه - فيجب أن يقاوم هذا السلوك عنده حتى لا يتعود عليه، فلا يكف عن البكاء مثلا إلا بعد مصالحته أو تحقيق رغبته. ومقاومة والديه تكون بغير سخرية منه حتى لا يزيد هياجه وعناده فإذا أصر فليعاقب بحرمانه من اللعب أو لبس الملابس الجديدة مثلا لفترة من الزمن[1].

ولكل ما مر نقول: إن الأم يجب أن تُعَدُّ إعدادا كافيا لهذه المهمة الصعبة لتكون تصرفاتها صحيحة في الأوقات الحرجة من سلوكيات طفلها. وإذا كنا نركز على الأم في هذه المرحلة لملازمة الطفل لها في هذه الفترة - فإن الأب ليس ببعيد عن هذه المسئولية. لكن العبء الأكبر فيها يقع على عاتق الأم كما وضحنا. وذلك حتى تستطيع حمايته من الأخطار المحيطة به، ومن السلوكيات الخاطئة التي ينجرف إليها كثير من الأطفال، في غياب من يرشدهم سواء في البيت أو المدرسة أو الشارع. فلكل مقام من هذه المقامات المشار إليها إرشادات وآداب ينبغى العمل بها حتى يخرج الطفل من هذه المرحلة صبيا سويا وشابا متزنا في أقواله وأفعاله وكافة سلوكياته.

الرابعة.

(1) بتصرف واختصار من ص319، 320 من المصدر السابق.

ومن هنا نبه المفكرون والمرشدون المختصون بهذه المرحلة إلى هذا الدور الهام والحيوى الذي تمارسه الأم في هذه الفترة لإعداد طفلها وتوجيهه للمراحل المقبلة من حياته.. وقد أشاد المفكرون والشعراء بالأم المُعدَّة لهذه المهمة الجليلة. فها هو شوقى على سبيل المثال يقول في ذلك:

الأم مدرســـــة إذا أعـــــددتها ::: أعددت شعبا طيب الأعــراق...

وقد تكون ثقافة الأم متواضعة. ودرايتها غير كافية بهذه المهمات الصعبة التي تقع على عاتقها. فالطفل في هذه السن يحتاج إلى طب نفسى وإلى توجيهات اجتماعية وعلمية واقتصادية وفنية ورياضية[1]. وقد لا تحيط الأم بكل هذه الثقافات. وهنا يفضل أن تكون مجيدة للقراءة ومحبة لها؛ لتقرأ في كل هذه المجالات وتفيد طفلها. وعليها أن تسأل ذوى الاختصاص في المجالات المختلفة إذا غمض عليها شيء في أى مجال من المجالات المذكورة. ولهذا سبق أن قلنا إنها لابد أن تكون على قدر من التعليم يمكنها من معرفة ما خفى عليها من هذه المجالات.. وإلا وجب عليها أن تلجأ إلى مربية أو معلمة ومؤدِّبة تكون ملمة بهذه المجالات أو تستطيع. القيام بها لخبرتها فيها.. وسنعود بالتفصيل لهذه المسألة فيما بعد...

ويجيء بعد ذلك دور الخطوة الهامة بالنسبة للطفل. وهى ترغيبه في القراءة والكتابة. ويمكن أن تبدأ عند كثير من الأطفال من سن الرابعة أو الخامسة حسب الاستعداد الشخصى لكل طفل.. والأساس المتين في هذه الخطوة هو تعليمه الحروف الأبجدية للّغة العربية، وحركاتها وسكناتها، وممدودها مع الحركات، وأحوال الشدة فيها مع الحركات أيضا، والتعرف على اللام الشمسية والقمرية. والانتقال به

(1) ص382 بتصرف من كتاب تربية الطفل - تأليف مَبلْ بكْ رئيسة إصلاحية البنات.

بعد ذلك إلى تكوين الكلمات من أسماء وأفعال وحروف، ثم إلى تكوين الجمل الإسمية والفعلية وغيرها، مع كتابة وقراءة ما يكونه من الأسماء والأفعال والحروف والجمل. وتلك هى الطريقة النظرية والعملية النافعة والمجربة في تعليم الطفل للقراءة والكتابة بعيدا عما يصول فيه ويجول أصحاب النظريات التي يسمونها تربوية في تعليم الطفل للقراءة والكتابة. وهى نظريات غير قابلة للتطبيق عمليا. ويُستحب أن تكون الأم مُعَدَّةً ومُستعِدَّةً لأداء وبذل هذا الجهد المكثف والقيام بهذا الدورالعظيم بنفسها. ويكون ذلك بالتأكيد في مصلحة الطفل. وإلا فيجب أن يقوم به الأب بنفسه أيضا ولمصلحة الطفل.. أما إن لم يكن هناك استعداد من الطرفين (الأب والأم) للقيام بهذا الدور المشرِّف - فعليهما أن يدفعا طفلهما إلى معلم أو معلمة تجيد هذا الفن. وهذا أضعف الإيمان وأبسط الواجبات في هذا الشأن..

وكثيرا ما تنجح الأم الحريصة على مصلحة طفلها في هذه المهمة أكثر من الأب أو المعلم أو المعلمة. فالطفل كما بينا سابقا - دائم التعلق بأمه في هذه السن، يصاحبها طوال يومه في البيت، يلاعبها وتلاعبه، ويلاطفها وتلاطفه. لكن الأب يغادر المنزل في الصباح، ويعود إليه في منتصف النهار متعبا ينشد قسطا من الراحة، بعد أن أمضى نصف نهاره أو أكثر في عمل جاد؛ ليوفر ما يلزم من مال للإنفاق على أسرته وتلبية مطالبها واحتياجاتها. وهذه الفترة الصباحية - وهى النصف الأول من النهار - هى أنسب الأوقات لتعليم الطفل، بعد أن استيقظ من نومه، وتناول طعام إفطاره مع أمه، ولاعبها بعض الوقت. ومن المؤكد أنها تستطيع القيام بمهمة تعليم طفلها، حتى وهى منشغلة بأعمالها المنزلية. فالطفل يتبعها في أى مكان تتوجه إليه، ويكون بمعيتها أينما تواجدت، وفى أى عمل تعمله. وتبدأ

الأم مع طفلها بتعليمه الحروف الهجائية العربية وتدريبه على نطقها نطقا سليما وعلى كتابتها كتابة صحيحة. فإذا أتقن ذلك، علمته نطق الحركات مع هذه الحروف وكتابتها عليها. ويأتى بعد ذلك نطق المدود مع الحروف وكتابتها، وكذلك السكون مع الحروف والتدريب عليه. وكذلك أحوال الشدة، ثم أحوال اللام الشمسية والقمرية، والتنوين بأنواعه الثلاثة إلى أن تنتهى من هذا البرنامج التعليمى بعد التدريب على كل ما مر وتكوين الكلمات من الحروف ثم الجمل من الكلمات، وكتابتها وقراءتها كما سبق القول إلى أن يتقن طفلها تعلمه للقراءة والكتابة العربية. ويستطيع أن يقرأ في أى كتاب يقدم إليه، كما يستطيع أن يكتب ما يملى عليه. وفى هذه المرحلة التعليمية يتواجد الأب مع الأم بشكل مباشر أو غير مباشر ليوجه الأم المعلمّة كلما احتاجت إلى توجيه في هذا الشأن.

وبتمام تناول الطفل لهذه الجرعة من التعليم الأوَّلىِّ - يكون الطفل السعيد بأمه وأبيه وبيته الذي نشأ فيه، قد اجتاز مرحلة في غاية الأهمية من مراحل حياته التعليمية؛ بالتزامه بمنهج متكامل ومحدد في تعلم القراءة والكتابة العربية وضحناه فيما سبق. ويصبح متمرسا متقنا إتقانا كاملا لقراءة وكتابة اللغة العربية، في هذا الزمان الذي يكبر فيه كثير من الأطفال ويصيرون شبابا وطلابا في المرحلة الثانوية وهم لا يحسنون القراءة والكتابة العربية.. وذلك يرجع بالطبع للأخطاء المتراكمة في عملية التربية والتعليم، وفى المرحلة الابتدائية على وجه الخصوص، حيث لم يعالج هذه الأخطاء أى مسئول عن التربية والتعليم في مصر حتى الآن. فالتدريس في المرحلة الابتدائية يحتاج في رأيى إلى معلم متخصص في كل مادة على أعلى المستويات. على أن يُعَدَّ إعدادا كافيا وافيا بحيث يعالج كل

هذه الأخطاء المتراكمة في المواد المختلفة، وعلى رأسها مادة اللغة العربية. ويكون في مقدوره وإمكانه التغلب عليها بطريقة تربوية علمية ناجحة تتجاوب مع البيئة المصرية. ولا يكفى كمثال للتوضيح أن ننقل طرقا للتدريس من بيئات أجنبية ولا نستطيع أن نخدم بها العملية التعليمية في مصر.. ولم يتواجد هذا المعلم المشار إليه حتى الآن في المرحلة الابتدائية، رغم افتتاح أقسام للتعليم الأساسى في الجامعات المصرية. هذا بالإضافة إلى الأساليب المتبعة في الإشراف على العملية التعليمية في هذه المرحلة والتى تتغير بين الحين والحين. ويكفى أن نشير إلى عملية تقييم التلاميذ في صفوف المرحلة الابتدائية حاليا؛ فقد تغيرت في الآونة الأخيرة أكثر من مرة، واتُّبِعَتْ فيها طريقة مستوردة من الخارج لا تتلاءم مع تلاميذ المرحلة ذاتها في مصر، وظهر فيها أكثر من عيب فنى والعجيب أنها مازالت سارية رغم النقد الموجه إليها من الناحية الفنية والناحية العملية والتربوية..

ومن هنا تكون الأهمية القصوى لدور الأم والأب الحريصين على تعليم أطفالهما تعليما سليما صحيحا تربويا مفيدا، منذ نعومة أظفارهم.. وكم من أمهات مثقفات واعيات مقدرات لهذه المسئولية، وآباء مثقفين واعين مهتمين بالحياة التعليمية لأطفالهم من البنين والبنات - قد نجحوا ونجحن فيما لم ينجح فيه معلم - أو معلمة - المرحلة الابتدائية، الممارس لمهمته بمدارس التربية والتعليم وغيرها من دور العلم التي تخصصت في المرحلة الابتدائية. وقد بينا سابقا ما يجب أن يكون عليه الأب والأم من درجة التعلم والوعى، والاستعداد الدائم للتعلم حتى ينجح كلاهما في مهمته العظيمة التي تشكل الطفل منذ بداية نشأته، وتجعل منه إنسانا سويا ناجحا وموفقا

في كل خطواته التعليمية والعلمية. وتجعل منه فردا سعيدا في أسرة سعيدة، يسعد به مجتمعه الإسلامى ويفيده ويستفيد منه...

ويزداد دور الأب بعد أن يحسن الطفل المشى، وبعد أن يتقن القراءة والكتابة العربية. فيصحبه أبوه إلى بعض الأماكن العامة، كالمسجد في الصلوات الخمس؛ ليتعود أداءها منذ صغره، وكدور الثقافة والمكتبات؛ ليتعود القراءة والاطلاع وجمع المعلومات المفيدة منذ صغره، وليقرأ ما هو مناسب لسنه، وكزيارته للأصدقاء كلما أمكن ذلك، وكخروجه للنزهة في الهواء الطلق بصحبة والديه أو أحدهما كلما أمكن ذلك أيضا. ومن شأن هذه التحركات أن تزود ثقافته ومعارفه العامة فيستفيد بذلك كثيرا في حياته التعليمية...

ومن المعروف أن الطفل في هذه السن يحسن التقليد. فهو يقلد أباه وأمه والمحيطين به والمتعاملين معه، في كلامهم وأصواتهم وحركاتهم وأفعالهم، وحتى في أخطائهم. وهنا تبرز أهمية دور الأب والأم في تهذيب الطفل وتعليمه كل مفيد وإبعاده وتنفيره من كل ما هو غير مفيد. وإن كان دور الأب أكبر في هذه المرحلة. فالمفروض أن يوجهه إلى الصحيح وينفره من غير الصحيح ليتجه إلى الأول ولا يتمسك بالثانى. وكذلك يعرفه بالنافع والضار والحلال والحرام ليتمسك بما هو فاضل من الأقوال والأفعال والتصرفات ويترك غيره. وليست الأم ببعيدة عن هذه المسئولية تجاه طفلها. فهى تساعد الأب بجدية في تثبيت الفضائل في نفس الطفل وتجنيبه الرذائل. فيفعل الفضائل بتشجيع من أبيه وأمه ويتجنب الرذائل بتحذيرهما له منها.. ولا شك أنه بعد أن تعلم القراءة والكتابة وزار المكتبات ونمت معارفه وازدادت معلوماته عن الحسن والقبيح والنافع والضار والحلال والحرام - يستطيع أن يميز بين ما ينفعه وما يضره بإشراف

أمه ومتابعة أبيه، خصوصا بعد أن تهيأ للدخول في المرحلة الثانية من الطفولة والالتحاق بالتعليم الابتدائى.. والواجب على الأب باعتباره المسئول الأول عن ذلك - أن يوجه الأم إذا وجد عندها قصورا في شئ مما تحدثنا عنه؛ لتنوب عنه في غيابه عن بيت الزوجية. وهكذا يسهل على الطفل في هذه السن وبعد أن اتسعت مداركه - أن يتعلم المعانى السامية، والمبادئ الدينية والروحية والأخلاقية بطريقة سهلة ونافعة بفضل مساعدة أمه وأبيه على ذلك، وأن ترتقى مصطلحاته التي كان يعبر عنها بكلمات مختصرة (كأف وكخ وحلو) وغيرها من المصطلحات التي كان يعرف بها النافع والضار والحسن والقبيح والحلال والحرام...

وليحذر الأب دائما كما تحذر الأم أن يتجه ولدهما أو ابنتهما إلى مصاحبة الأشرار من الولدان والبنات، الذين لم ينالوا قسطا وافرا من التوجيهات النافعة من آبائهم وأمهاتهم في هذه المرحلة. فهؤلاء الأشرار قليلوا الحياء. وهم بذلك يتصفون بالشر. فهم كالمواد القابلة للاشتعال، تشتعل فيها النار ويحركها الهواء في كل مكان فيتطاير شررها على من تجده في طريقها. وهم كذلك كداء الجَرَب الذي يُعدى كل من يقابله ويتصل به من الناس. والشاعر يقول عنهم في ذلك:

واحذر مصاحبة اللئيم فإنها ::: تُعْدِى كما يُعدى السليمَ الأجربُ

فعلى الأم والأب أن ينتقيا لابنهما أو ابنتهما الصحبة الصالحة، غير الضارة.. وإذا كان الطفل يميل إلى اللعب في فترة الصباح أو بعد خروجه من المدرسة وخصوصا بعد فراغه من مصاحبة أمه أو أبيه أو معلمه في الجولة التعليمية الصباحية - فإن الأم هى المسئولة في هذا الوقت، الذي يمارس فيه الأب عادة عمله خارج البيت. فهى

معلمته وموجهته الأساسية في وقت الصباح. وينبغى ألا تقلل أبدا من قيمة وخطورة أثر هذا الأمر، في حاضر الطفل ومستقبله. فالإنسان يندم يوم القيامة عندما يقف بين يدى الله عز وجل؛ لِيُسْأَلَ عن تفريطه في أمانة اختيار الصديق لولده أوابنته بعد أن أدى ذلك إلى الإضرار بهما ويحاسب على ذلك حسابا عسيرا. ويندم حينئذ كل من لم يتخير وينتق أصحابه وأصحاب أولاده وبناته بل وصاحبات زوجته أيضا بحكم مسئوليته عنهم جميعا. وخصوصا وأن هؤلاء الصغار يحتاجون إلى من يوجههم، فهم بدون توجيه يخالطون كل من يروه، بعقولهم الصغيرة وحواسهم القاصرة، يحسن اللهو واللعب، ويتخذون من الأشرار والشريرات أصحابا وصاحبات. وبإهمال الأم في هذا الأمر وعدم متابعة الأب لهذه المسئولية الهامة - فإن أولادهما وبناتهما يضلون الطريق الصحيح. ويصير الجميع مستحقا لعقاب الله ونقمته يوم الحساب العظيم. وربما يحصد الجميع جزاء وثمرة هذا الضلال في الدنيا أيضا قبل الآخرة. فيؤدى بهم السير في طريق الأشرار إلى التهلكة والضياع في الدنيا والآخرة.. ويقول رب العزة سبحانه في ذلك: {وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِي ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٢٧﴾ يَٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ﴿٢٨﴾ لَّقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ ٱلذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَآءَنِي ۗ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِلْإِنسَٰنِ خَذُولًا ﴿٢٩﴾} [الفرقان: ٢٧ - ٢٩].. فالمقصر في مجال اختيار الصديق الصالح يندم حين لا ينفع الندم - على التفريط في حقه في اختيار الصديق الأفضل والنافع له ولأولاده وبناته وزوجته، والذى يدعوه إلى الطريق المستقيم وهو الطريق إلى الله سبحانه وتعالى. ويندم هذا المفرط على أن سلم نفسه وأولاده وبناته لشياطين من الإنس يميلون عن طريق الحق، فيهلكون أنفسهم وغيرهم في غيبة الصديق الناصح الأمين..

وفى السنة النبوية أيضا ما يدل على ذلك، كقول رسول الله صلى الله عليه وسلم :♂**لا تصحب إلا مؤمنا ولا يأكل طعامك إلا تقى**ـــ [1]. وقوله صلى الله عليه وسلم :♂**لا تصحبن أحدا لا يرى لك من الفضل كمثل ما ترى له**ـــ[2]. فمثل هذا الصاحب، لا يبادلك فضلا بفضل، ولا حبا بحب. وهو بذلك غير جدير بمصاحبتك. وقوله صلى الله عليه وسلم :♂**إنما مثل الجليس الصالح وجليس السوء كحامل المسك ونافخ الكير، فحامل المسك إما أن يحذيك، وإما أن تبتاع منه، وإما أن تجد منه ريحا طيبة، ونافخ الكير إما أن يحرق ثيابك، وإما أن تجد منه ريحا منتنة**ـــ [3].. وكلها أحاديث شريفة تحث على اختيار الصديق الصالح ذى الأخلاق الفاضلة، وعلى تجنب صديق السوء الذي لا يعترف بفضل صاحبه عليه ولا يميل مثله إلى عمل الصالحات، وإنما يتعمَّد دائما الإضرار به، وجذبه إلى السلوك السئ، وتزيين الباطل له حتى يتخذه طريقا...

وقد يكون من مصلحة الطفل إلحاقه بإحدى مدارس الحضانة الإسلامية عند بلوغه سن الرابعة أو الخامسة. فربما تساعد هذه المدرسة الأم والأب في اهتمامهما بطفلهما وإعداده إعدادا كافيا للدراسة بالمرحلة الابتدائية، عندما يحين وقتها.. ويلجأ والدا الطفل إلى ذلك إذا كانت ظروف أحدهما أو كلاهما لا تسمح بالتفرغ الكامل للطفل وتعهده وتنمية مهاراته التي تظهر في هذه السن المبكرة. والشرط في ذلك أن تؤدى المدرسة رسالتها على خير وجه، وألا

(1) رواه أبو داود ص158من مختار الأحاديث النبوية - للمرحوم سيد أحمد الهاشمى.
(2) رواه أبو نعيم نفس الصفحة من المرجع السابق.
(3) رواه البخارى ومسلم عن أبى موسى الأشعرى ص33من كتاب: من كنوز السنة للمرحوم الشيخ محمد على الصابونى - نافخ الكير: الحداد الذي ينفخ النار على الحديد. يحذيك: يُهديك - تبتاع: تشترى.

تحصر اهتمامها في الأمور المادية فقط. وأن يكون ذلك أيضا تحت إشراف الأم والأب أو على الأقل متابعتهما لجهد ونشاطات المدرسة، وتنبيه المسئولين فيها إلى نواحى القصور إن وجدت. فلا يجب على إدارة المدرسة مثلا أن تقبل أطفالا قليلى الحياء، ناقصى التربية. إذ أن قبول أمثال هؤلاء الأطفال يضر بالأطفال الآخرين من ذوى الأخلاق الكريمة، والتربية الصالحة، والعادات والطبائع المقبولة. فيعدى الأولون الآخرين كما يعدى الأجربُ السليمَ. فاهتمام المسئولين عن هذه المدرسة بالأمور المادية فقط يطغى على اهتمامهم بالأمور الروحية والمعنوية والأخلاقية وهو ما يؤدى إلى سوء أخلاق التلاميذ وفشل المدرسة في رسالتها التربوية والتعليمية.

ومن جهة أخرى تزداد مسؤولية الأم والأب إزاء ولدهما أو ابنهما في ظل مبادئ الدين الإسلامى وإرشاداته في هذه السن المبكرة للطفل والطفلة. وخصوصا عندما يبلغ الطفل سن السادسة ويبدأ في الدراسة بالمدرسة الابتدائية. فلابد أن يدرك الأب كما تدرك الأم أنهما القدوة والمثل الأعلى لولدهما - أو ابنتهما. فقد تربى في أحضانهما. ورضع من ثدى أمه اللبن الصالح لبناء جسمه. ورضع مع اللبن الحب والحنان والعطف والثقة والمعانى السامية والمبادئ الأخلاقية الرفيعة، كغذاء روحى بالإضافة إلى الغذاء المادى.. وأول ما يجب أن يلتزم به الأبوان نحو أطفالهما من البنين والبنات - هو الصدق، في كافة معاملاتهما معهم. وفى كل ما يأخذونه عنهما من مبادئ وقيم وسلوكيات. وكذلك يكون منهجهما مع الأقارب والجيران والناس أجمعين..

وإذن فلا يجب أن يرى هؤلاء الصغار من آبائهم وأمهاتهم إلا الصدق في النية والقول والتعامل والتناول للأمور الدينية وغيرها..

فالصدق في الوعد مطلوب سواء كان وعدا بتحقيق رغبة أو شئ فيه منفعة لهم أو دفع ضرر محتمل عنهم. وهنا يكون الصدق أسلوبا تربويا يجب اتباعه. كالوعد بشراء هدايا أو بالسماح لهم باللعب بعض الوقت أو بزيادة المصروف أو بالخروج للتنزه أو حمايتهم من بعض المنحرفين، أو نحو ذلك من الوعود. ويجب ربط هذه الوعود بطاعتهم للوالدين وللمدرسين والمدرسات وتقدمهم في الدراسة وعدم اللعب مع الأشرار أو الشريرات.. وليحذر الآباء والأمهات من خُلف وعودهم مع صغارهم من البنين والبنات؛ حتى لا يفقد هؤلاء الصغار الثقة فيمن اعتبروهم مثلا أعلى لهم في كل تصرفاتهم. وليحذروا غضب الله عز وجل من المخلفين لوعودهم؛ إذ أن خلف الوعد ليس من صفات المؤمنين الصالحين، بل من صفات الكفار والمنافقين. حيث يقول ربنا عز وجل في ذلك:{يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١١٩﴾} [التوبة: ١١٩]. ويقول أصدق القائلين سبحانه:{بَلَىٰ مَنۡ أَوۡفَىٰ بِعَهۡدِهِۦ وَٱتَّقَىٰ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُتَّقِينَ ﴿٧٦﴾} [آل عمران: ٧٦]. ويقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : ♂ **عليكم بالصدق فإنه باب من أبواب الجنة. وإياكم والكذب فإنه باب من أبواب النار**ـــ [1].

فالقرآن الكريم يحث الآباء والأمهات على الصدق مع أبنائهم وبناتهم، وخصوصا الصغار منهم، والوفاء بما وعدوهم به وبأداء التزاماتهم لهم، وعلى أن يكونوا مثلا أعلى لهم في الوفاء بالوعد، وفى فعل كل الصفات المحمودة وترك كل الصفات المذمومة. وذلك حتى لا تنقلب في عقول هؤلاء الصغار ونفوسهم موازين القيم؛

(1) رواه الخطيب عن أبى بكرص99 من كتاب مختار الأحاديث النبوية - للمرحوم الشيخ السيد أحمد الهاشمى.

فيصبح الشر خيرا والخير شرا.. وعلى سبيل المثال: لا يأمر الأب طفله أو طفلته بأداء الصلاة وهو لا يؤديها، ولا يأمر طفله أو طفلته بالابتعاد عن الأشرار والشريرات وهو يلتقى معهم على المقاهى وغيرها، ويتخذ منهم أصحابا له. ولا يأمر طفله بالصدق في القول فإذا سأل عنه أحد لا يريد مقابلته بالمنزل مثلا يقول له: أخبره أننى غير موجود. ولا تنصح الأم طفلها أو طفلتها بعدم تضييع الوقت وهى تضيع وقتها في الحديث بالتليفون عما لا فائدة فيه أو في الأحاديث غير الضرورية. إلى غير ذلك من الأمثلة الدالة على التناقض بين ما ينصحان به ولدهما أو ابنتهما، وبين سلوكهما الواقعى. وكدليل واقعى دامغ على خطورة ذلك: سألت أحد الصغار على سبيل التوجيه والنصيحة وكان يناهز الرابعة عشرة من عمره: لماذا تفطر والناس كلهم صائمون؟ - وكنا في نهار رمضان - فكان جوابه: ولماذا أصوم وأبى وأمى مفطران؟! والطفل هنا معذور لأنه يرى نصيحتى له متعارضة مع ما يفعله أبوه وأمه في الواقع المحسوس الذي يراه بعينه. ورغم أن والِدَىْ الطفل قد يكونان معذورين شرعا بشكل يبيح لهما الإفطار، لكن خطأهما أنهما أفطرا في نهار رمضان أمام ابنهما الذي لا يعرف عذرهما. والشريعة الإسلامية تنصح أصحاب الأعذار في هذه الحالة بالإفطار سرا، بحيث لا يراهما أحد، ولو كان ابنهما، وحتى لو كان الإفطار داخل المنزل. وذلك لكى لا يفقد الأطفال ثقتهم في آبائهم وأمهاتهم على هذا النحو الذي شاهدناه ويضربوا عرض الحائط بنصائحهم فتفسد أحوالهم ويصدق فيهم قول القائل:

إذا كان رب البيت بالدف ضاربا ::: فشيمة أهل البيت كلهم الرقص.

وإذا كان القرآن الكريم لا يغفل هذا الأمر - فإن السنة النبوية

الكريمة أيضا لا تغفله ولا تهمله. بل تحث الآباء والأمهات على الاهتمام بتربية صغارهم من البنين والبنات، تربية إسلامية صحيحة، على أساس ما ورد في القرآن الكريم من قيم ومبادئ أخلاقية كريمة..

وفى هذا الإطار يقول النبى صلى الله عليه وسلم :♂**أدبوا أولادكم على ثلاثة خصال: حب نبيكم وحب أهل بيته وقراءة القرآن، فإن حملة القرآن في ظل الله، يوم لا ظل إلا ظله مع أنبيائه وأصفيائه**═ (1). ويقول المصطفى صلى الله عليه وسلم :♂**أكرموا أولادكم وأحسنوا أدبهم**═ (2) ويقول المبعوث رحمة للعالمين صلى الله عليه وسلم :♂**لأن يؤدب أحدكم ولده خير من أن يتصدق بنصف صاع كل يوم**═ (3).. وتُوَجِّهُ السنة النبوية الكريمة أيضا إلى وجوب وفاء الآباء والأمهات لأبنائهم وبناتهم بوعودهم لهم. إذ أن ذلك يعبر عن صدقهم وإخلاصهم لهم في تربيتهم والنصح لهم. وفى ذلك يقول النبى صلى الله عليه وسلم : ♂**الزموا أولادكم**═ (4). ويقول معلم البشرية صلى الله عليه وسلم :♂**أحبوا الصبيان وارحموهم فإذا وعدتموهم فوفوا لهم فإنهم لا يرون إلا أنكم ترزقونهم**═ (5).

وجدير بالذكر أن المقصود بالأولاد والصبيان في كل ما ورد من الأحاديث الشريفة السابقة الأولاد والبنات؛ لأن التشريع شامل لهم جميعا.

---

(1) رواه الديلمى عن علىّ من كتاب مختار الأحاديث النبوية - للشيخ المرحوم السيد أحمد الهاشمى ص7، ص8.

(2) أخرجه ابن ماجة عن ابن عباس. ص207 من كتاب الزوجة المسلمة والبيت السعيد - للأستاذ عبد العزيز الشناوى.

(3) ص206 من نفس المصدر.

(4) ص202 من المصدر السابق.

(5) ص101 من نفس المصدر.

وكان من أفعال سلفنا الصالح في العصور الأولى للإسلام - دفع الولد أو البنت - إلى حاضن أو حاضنة لتأديبه وتعليمه. فلم تكن مدارس ومعاهد الحضانة قد عرفت في هذا الزمن. فالحاضن يحل محل مدرسة الحضانة وكذلك الحاضنة بالنسبة للبنت. وكان يطلق على الحاضن اسم المؤدِّب أو المعلم، وعلى الحاضنة المؤدِّبة أو المعلمة. وكان كلاهما يختار ممن لهم علم بالفقه والحديث والعلوم الدينية بوجه عام. وممن لهم علم بالأدب والفصاحة والبيان.. وكان يلجأ إلى ذلك الخلفاء ورجال الحكم في الدولة الإسلامية بعد عصر رسول الله صلى الله عليه وسلم وصحابته رضوان الله عليهم أجمعين. حيث لم يجد هؤلاء الوقت الكافى للتفرغ لتربية أولادهم وتهذيبهم وتعليمهم في وقت شاعت فيه ألوان كثيرة من اللهو والطرب والغناء[1]..

وكان هؤلاء المعلمون يتجهون إلى تعليم الصغار من البنين والبنات القرآن الكريم وتجويده وعلومه، في بداية ممارستهم لأعمالهم التأديبية والتعليمية. ثم يتجهون بهم إلى علوم اللغة وآدابها. ثم إلى صفات الرجولة مع البنين، والشجاعة مع البنات، والفروسية والرماية وغيرها مع الجميع. ثم يزودونهم بالصفات الكريمة التي وردت في القرآن الكريم والسنة النبوية المباركة من مكارم الأخلاق بكل ألوانها وأشكالها.. وهكذا " جمعت التربية الإسلامية منذ أول ظهور الإسلام بين تأديب النفس وتصفية الروح وتثقيف العقل وتقوية الجسم. فهى تعنى بالتربية الدينية والخلقية والعلمية والجسمية دون تضحية بأى نوع منها على حساب الآخر " [2].. وإذا لم يتوافر في

(1) ص80من كتاب تربية الشباب في القرآن الكريم - عبد المعز خطاب.
(2) ص82من كتاب تربية الشباب في القرآن الكريم - تأليف عبد المعز خطاب.

الأب أو الأم كل ما يلزم لتعليم الطفل وتوجيهه في مختلف المجالات التي سبق الحديث عنها - فمن المستحسن أن يختارا لابنهما أو ابنتهما مربيا أو مربية، ممن لهم دراية وخبرة بالتعليم في مدارس رياض الأطفال. ويجب أن يكون المربى أو المربية على جانب كبير من صفاء الذهن وابتهاج النفس، يشعر بالحب والرحمة تجاه الأطفال، ويستطيع الغناء والعزف على البيانو إن أمكن، ويكون في وسعه الرسم على السبورة كنوع من الإيضاح لما يقول[1]..

وبالجملة يجب أن تتوفر في المعلم أو المعلمة الشروط الآتية[2]: أولا: الإلمام بالأدب والنظم بصفة خاصة حتى يستطيع إعداد برنامج منظم لتعليم الطفل. ثانيا: أن يكون على دراية بعلم طبيعة ألأطفال المؤسسة على المشاهدات. ثالثا: أن يكون محيطا بدراسة النباتات والحيوانات المألوفة عند الأطفال. رابعا: أن يكون عارفا بالمعلومات العامة في الأشغال اليدوية ليستطيع شغل الأطفال بما يناسبهم منها. خامسا: وأن يكون على دراية تامة بفن التربية حيث تتطلب تمرينا وصبرا طويلا، وبأن مهمته تنحصر في مساعدة الطفل على النمو والتقدم دون أن يجبره على ذلك قبل أوانه. فيعرف الوقت المناسب لكل مرحلة من مراحل نمو الطفل..

هذا بالإضافة إلى أنه لابد من معرفته بمبادئ التربية الرياضية حتى يُمَكّن الطفل من ممارسة النوع الذي يروق له منها. فالألعاب الرياضية والاجتماعية تعلم الطفل حب الغير، وتنفره من الأنانية وحب الذات، كما تعلمه الشفقة والأدب، وتقدير عواطف الغير[3]..

(1) بتصرف ص383من كتاب تربية الطفل - تأليف مَبِلْ بك رئيسة إصلاحية البنات.
(2) بتصرف وختصار من نفس المرجع السابق ص384.
(3) ص385 بتصرف ص383من كتاب تربية الطفل - تأليف مَبِلْ بك رئيسة إصلاحية البنات.

وتبدأ التربية الإسلامية في البيت عن طريق المحاكاة والتلقين. فالطفل ينشأ فيرى ويسمع أباه يقرأ القرآن ويقيم الصلاة التي تعتبر ركن الإسلام الأعظم؛ فهى أساس هام من الأسس التي يقوم عليها الدين الإسلامى.. وإذن فالواجب أن تبدأ تربية الطفل بتعويده على الصلاة وإقامتها. وحفظ القرآن الكريم. " وكان حفظ القرآن أو قدر منه كافيا في طبع الأبناء على التربية الإسلامية الصحيحة " [1].. وكما كان الشعر ديوانا للعرب القدامى، فكذلك كان القرآن الكريم وسيظل ديوانا للمسلم. ففيه جوهرة العقيدة الإسلامية وأصلها، وفيه تفاصيل العبادات، وإرشاد للسلوك الفاضل. وعلى المربى أو المعلم أن يُبسِّط ذلك في أذهان من يربيه من الأطفال. ولا يلبث الطفل بعد رسوخ العقيدة الإسلامية في قلبه وتمكنها منه - أن يميز بين الحلال والحرام، ويبر بأهله وجيرانه، ويتعدى ذلك إلى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر على مستوى مجتمعه الإسلامى..

والطفل في ذهابه إلى المسجد مع أبيه يتلقى التربية الإسلامية ومبادئها الصحيحة، وفى ذلك يقول ابن عباس رضى الله عنه: " اعملوا بطاعة الله، واتقوا معاصى الله، ومروا أولادكم بامتثال الأوامر واجتناب النواهى، فذلك وقاية لهم من النار " [2].. وقد ورد أن عتبة ابن أبى سفيان قال لمعلم ابنه: " ليكن إصلاحك ابنى إصلاحا لنفسك، فإن عيونهم معقودة بعينك. فالحسن عندهم ما استحسنت والقبيح مااستقبحت " [3].. فعتبة رضى الله عنه يوجه معلم ولده إلى الاهتمام بتعليمهم وإصلاحهم، وإلى أن يكون قدوة

(1) ص82 من كتاب تربية الشباب في القرآن الكريم - عبد المعز خطاب.
(2) ص84من نفس المصدر السابق.
(3)ص205، ص206من كتاب الزوجة المسلمة والبيت السعيد - للأستاذ عبد الغزيز الشناوى.

صالحة لهم باعتباره أباً لهم وهم جزء منه. بعد أن تعلقت به أنظار أطفاله فما يراه صالحا فهو عندهم صالح يجب العمل به، وما يراه قبيحا فهو عندهم قبيح يجب أن يُجْتَنَبْ.. وها هو هارون الرشيد الخليفة العباسى يقول لمعلم ولده: " يا أحمد إن أمير المؤمنين قد دفع إليك مُهجة نفسه وثمرة قلبه. فصير يدك عليه مبسوطة وطاعته لك واجبة. فكن له بحيث وضعك أمير المؤمنين: أقرئه القرآن، وعرفه الأخبار، وروِّهِ الأشعار، وعلمه السنن، وبصره بمواقع الكلام وبدئه، وامنعه من الضحك إلا في أوقاته، ولا تَمُرَّنّ بك ساعةٌ إلا وأنت مغتنم فائدة تفيده إياها، من غير أن تُحزنه فتميتَ ذهنه ولا تمض في مسامحته فيستحْلِيَ الفراغَ ويألفه. وقَوِّمْهُ مااستطعت بالقرب والملاينة " [1]..

ويلاحظ معى القارئ الكريم أن هذا الخليفة العباسى الذي عاش عصرا مزدهرا بالثقافة في كل المجالات، وبممارسة الغناء واللهو والمجون - حرص على أن يوصىَ معلم ولده بكل ما هو مفيد للطفل حتى لا يحرمه منه، وبكل ما فيه خطر عليه وعلى رجولته حتى يبعد الطفل عنه.. وكان المعلمون والمؤدِّبُون يستمعون إلى تلك النصائح وينفذونها، فتعينهم على أداء مهمتهم خير أداء. عملا بقوله صلى الله عليه وسلم :ﷺ**إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملا أن يتقنه**ـــ [2]..

ويجب أن يتدرج المؤدِّب مع الطفل بتوجيه نظره أولا إلى النظافة. فالإسلام نظيف ولا يدخل الجنة إلا كل نظيف. والنبى صلى الله عليه وسلم يقول:ﷺ**الإسلام نظيف فتنظفوا فإنه لا يدخل الجنة إلا**

(1) ص206من المصدر السابق.
(2) رواه الطبرانى ص34حرف الألف من كتاب مختار الأحاديث النبوية - للمرحوم الشيخ السيد أحمد الهاشمى.

نظيف [1]. والطهارة من النظافة. وفيها طريق للوضوء وأداء الصلوات الخمس التي لها فوائد عظيمة - يجب أن يعرفها الطفل من معلمه، ليتغلب على الشيطان الرجيم بالوضوء والصلاة، ولينعم بما فيها من فوائد دينية ودنيوية، فمن فوائد الوضوء الدنيوية: أنه في الصباح يتخلص به المسلم صغيرا أو كبيرا من الشيطان وخطره؛ حيث يطرده من خيشومه بالاستنثار. وفى ذلك يقول النبى صلى الله عليه وسلم :♂**إذا استيقظ أحدكم من منامه فتوضأ فليستنثر ثلاثا فإن الشيطان يبيت في خيشومه** [2].

ومن فوائد الوضوء الدنيوية كذلك أنه ينفى الفقر عن الإنسان المسلم وخصوصا قبل الطعام وبعده. بدليل قوله صلى الله عليه وسلم :♂**الوضوء قبل الطعام وبعده ينفى الفقر وهو من سنن المرسلين** [3].. ومنها كذلك أنه يبعد الشيطان عن المسلم ساعة الغضب فيعصمه من الخطأ والزلل، ويقول في ذلك الهادى البشير صلى الله عليه وسلم :♂**إن الغضب من الشيطان، وإن الشيطان خلق من النار، وإنما تُطفأ النار بالماء فإذا غضب أحدكم فليتوضأ** [4]..

أما فوائد الوضوء الدينية فمنها: ذلك النور المنبعث من المسلم يوم القيامة، والذى ينير له الطريق إلى الجنة. وفيه يقول النبى صلى الله عليه وسلم :♂**إن أمتى يدعون يوم القيامة غرا محجلين من آثار**

(1) رواه الديلمى ص27من المصدر السابق.
(2) أخرجه البخارى في 59كتاب بدء الخلق11 - باب صفة إبليس وجنوده ص58 من الجزء الأول من كتاب اللؤلؤ والمرجان - محمد فؤاد عبد الباقى - والاستنثار إدخال الماء إلى الأنف وطرده بشده خارجها فيأخذ معه به من أقذار ويخرجها بما فيها الشيطان الرجيم.
(3) رواه الطبرانى عن ابن عباس ص156 من كتاب مختار الأحاديث النبوية - للمرحوم الشيخ السيد أحمد الهاشمى.
(4) رواه الشيخان عن أبى هريرة ص39 من المصدر السابق.

الوضوء. فمن استطاع منكم أن يطيل غرته فليفعل[1]. ومنها أن المسلم عندما يتوضأ تخرج ذنوبه من أعضاء وضوئه وتتساقط كما يتساقط ورق الشجر. وفى ذلك يقول المصطفى صلى الله عليه وسلم :♂**إذا توضأ العبد المسلم (أو المؤمن) فغسل وجهه خرج من وجهه كل خطيئة نظر إليها بعينه مع الماء أو مع آخر قطر الماء، فإذا غسل يديه خرج من يديه كل خطيئة كانت بطشتها يداه مع الماء أو مع آخر قطر الماء؛ فإذا غسل رجليه خرجت كل خطيئة مشتها رجلاه مع الماء أو مع آخر قطر الماء، حتى يخرج نقيا من الذنوب**[2].

أما عن الصلاة، فقد شدد القرآن الكريم والسنة النبوية الكريمة في وجوب المحافظة على الصلوات الخمس في كل الأحوال والظروف في أوقاتها المشروعة، وخصوصا في حالات المطر الشديد والوحل الشديد والريح الشديد. وفى حالات السفر القصير والطويل، وفى حالات المرض الشديد والخوف الشديد من العدو في حالة الحرب وغيرها. وكل ذلك ثابت في القرآن والسنة. يقول ربنا العظيم:{حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلۡوُسۡطَىٰ وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ ﴿٢٣٨﴾ فَإِنۡ خِفۡتُمۡ فَرِجَالًا أَوۡ رُكۡبَانٗاۖ فَإِذَآ أَمِنتُمۡ فَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُم مَّا لَمۡ تَكُونُواْ تَعۡلَمُونَ ﴿٢٣٩﴾} [البقرة: ٢٣٨ - ٢٣٩]. كما يقول ربنا عز وجل في كيفية صلاة الخوف: {وَإِذَا كُنتَ فِيهِمۡ فَأَقَمۡتَ لَهُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَلۡتَقُمۡ طَآئِفَةٞ مِّنۡهُم مَّعَكَ وَلۡيَأۡخُذُوٓاْ أَسۡلِحَتَهُمۡ فَإِذَا سَجَدُواْ فَلۡيَكُونُواْ مِن وَرَآئِكُمۡ وَلۡتَأۡتِ طَآئِفَةٌ أُخۡرَىٰ لَمۡ يُصَلُّواْ فَلۡيُصَلُّواْ مَعَكَ وَلۡيَأۡخُذُواْ حِذۡرَهُمۡ وَأَسۡلِحَتَهُمۡۗ وَدَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡ تَغۡفُلُونَ عَنۡ أَسۡلِحَتِكُمۡ وَأَمۡتِعَتِكُمۡ

(1) رواه أبو داود ص39 من المصدر السابق. غرا محجلين: ينبعث من وجوههم وأرجلهم يوم القيامة نور من آثار الوضوء في الدنيا.
(2) رواه أبو هريرة ص169 من المصدر السابق.

فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُم مَّيْلَةً وَاحِدَةً ۚ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن كَانَ بِكُمْ أَذًى مِّن مَّطَرٍ أَوْ كُنتُم مَّرْضَىٰ أَن تَضَعُوٓا۟ أَسْلِحَتَكُمْ ۖ وَخُذُوا۟ حِذْرَكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿١٠٢﴾ فَإِذَا قَضَيْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ ۚ فَإِذَا ٱطْمَأْنَنتُمْ فَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ ۚ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتْ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ كِتَٰبًا مَّوْقُوتًا ﴿١٠٣﴾} [النساء: ١٠٢ - ١٠٣] وقد ورد في الجامع الصغير: ♂**مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع واضربوهم عليها لعشر- وفرقوا بينهم في المضاجع، وإذا زوج أحدكم خادمه أو أجيره فلا ينظر إلى ما دون السرة وما فوق الركبة**ـــ [1]..

ومن الفوائد الدنيوية للصلاة التي يحرص عليها الأبوان وينقلونها إلى صغارهم من البنين والبنات، أنها تنهى صاحبها في الدنيا عن فعل الفحشاء والمنكر. وقد ورد في ذلك قول الله تعالى:{ ٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ ۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۗ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴿٤٥﴾} [العنكبوت: ٤٥]. وذلك إذا أقيمت بشروطها وأركانها الواردة موضحة في السنة النبوية المباركة.. ومن فوائدها الدينية أنها ذكر يثاب عليه المسلم يوم القيامة، إذ يقول عز وجل:{وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِىٓ} [طه: ١٤]. ومنها كذلك أنها تغفر الذنوب التي يقترفها المسلم في الدنيا فيدخل بذلك الجنة. وفي ذلك يقول النبي صلى الله عليه وسلم :♂**الصلوات الخمس. والجمعة إلى الجمعة. ورمضان إلى رمضان مكفرات لما بينهن إذا اجتنبت الكبائر**ـــ [2].

وهكذا يدرك الصغار بفضل تعليم الكبار لهم وإرشادهم إلى كل

(1) رواه أحمد في مسنده وأبو داود والحاكم عن ابن عمر ص263من الجزء الأول من كتاب الشرح الصغير للإمام مالك - حاشية الصاوى.

(2) عن عمر بن إسحاق عن أبيه عن أبى هريرة ص133من صحيح مسلم - الطبعة المميزة.

ما مر ذكره، كما أدرك الكبار، أن الوضوء والصلاة مصدر سعادة لهم، فيشبون محافظين عليهما. وكذلك الصوم. فقد أشار الحديث الشريف السابق إلى أن السيئات التي يعملها المسلم بوسوسة الشيطان الرجيم - يغفرها الله عز وجل إذا حافظ المسلم على صيام رمضان. فما بين رمضان ورمضان يغفر الله تعالى لعباده الصالحين تلك الذنوب التي يتورطون في فعلها إذا تجنبوا فعل الكبائر. فرحمة الله واسعة، يجب أن يستغلها ويستفيد منها الكبير والصغير على السواء.

وقد فرض صوم رمضان على المسلمين جميعا الذين وصلوا إلى سن التكليف - عدا ذوى الأعذار من المسلمين فإن لهم أن يعيدوا أو يُفْدُوا حسب أحوالهم في المرض والسفر. وأقتداء بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وصحابته الكرام الأتقياء - يجب أن يُعوِّدَ الآباء والأمهات أبناءهم وبناتهم الصغار على الصوم؛ حتى تكون ممارستهم لهذه الفريضة شيئا عاديا عند بلوغ سن التكليف، وفى سن الشباب وما بعده. فالصيام طريق التقوى والعصمة من الزلل. وكان صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم يحثون أولادهم وبناتهم الصغار على الصوم ويأمرونهم به حتى قبل أن يصلوا إلى سن التكليف كما سبق القول. فإذا انتصف النهار شغلوهم باللعب ونحو ذلك حتى يحين وقت الإفطار. وذلك لحرصهم على نفع أولادهم وبناتهم بفوائده الدنيوية والأخروية. وأقل هذه الفوائد أنه يبعدهم عن ممارسة الرذائل، ويدفعهم إلى السير في طريق الصلاح في الدارين. وفى ذلك تمرين لهم على الالتزام بممارسة سائر الفضائل والآداب والأخلاق الكريمة وترك القبائح التي تصغر فاعليها.. فمحافظة هؤلاء الناشئين من البنين والبنات على أداء الصلوات الخمس وصيام رمضان يعودهم على التمسك بالفضائل الإنسانية والتحلى بالأخلاق

الكريمة كالصدق والبر والكرم والشجاعة والتعاون على البر والتقوى وصلة الرحم وإكرام الجار والعفو عن المظالم إذا لم يكن في ذلك إضرار بالدين كما يعودهم ذلك أيضا على ترك الإثم والعدوان. وفى ذلك سعادة أيما سعادة لهؤلاء الصغار وخصوصا عندما يشبون ويكبرون...

ومن الجدير بالذكر في هذا المقام أن نشير إلى سن التكليف التي إذا وصل إليها الإبن أو الإبنة - يعد مسئولا عن تصرفاته وعن نواحى تقصيره في أداء العبادات المفروضة على المسلمين والمسلمات، وسائر الحقوق الشرعية الواجبة على المسلمين بعضهم مع بعض، والواجبات التي تحددها الشريعة الإسلامية، حتى لا يحيد عنها المسلمون لأنها معيار السعادة فيما بينهم. وبوصول المسلم الصغير - أو المسلمة إلى هذا السن فإنه يُسأل إذا قصر في أمر مفروض عليه شرعا من أمور الدنيا والدين - في الدنيا ويوم الحساب...

وقد أشارت بعض الآثار الإسلامية إلى أن التكليف يكون عندما يبلغ الإبن وتبلغ الإبنة الحلم. أى عندما يرى الصبى في منامه أنه يختلط بالنساء والبنات فيُمْنِى، وكذلك البنت، فيستيقظ وقد وجد في ملابسه الداخلية بللا من أثر الإمناء.. وقد أشار القرآن الكريم إلى ذلك في بعض آياته كقوله تعالى: {وَإِذَا بَلَغَ ٱلْأَطْفَٰلُ مِنكُمُ ٱلْحُلُمَ فَلْيَسْتَـْٔذِنُوا۟ كَمَا ٱسْتَـْٔذَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ} الآية [النور: ٥٩]. فالتكليف مرفوع عن الطفل حتى يبلغ الحلم - وكذلك الطفلة. فإذا بلغه صار مكلفا. وتشير بعض الأحاديث إلى نوع من التحديد لسن التكليف. ومن ذلك أن عمر بن الخطاب كان يرد من لم يبلغ الحلم عن الاشتراك في جيش المسلمين، وعن حرب العدو معهم. وكان يستثنيهم ممن تدفع لهم

الرواتب (رواتب المجندين) لصغر سنهم، اقتداء منه برسول الله صلى الله عليه وسلم. وقد أرسى رسول الله صلى الله عليه وسلم قاعدة هامة في هذا الشأن. فجند من لم يبلغ الحلم من الشباب إذا بلغ سن الخامسة عشرة. وكان العام في هذا الزمن كفيل بأن يبرز القوة والقدرة في التفريق بين الصبيان. فلم يكونوا عرضة للأمراض والعلل كما هو الحال في زماننا. يقول عمر بن الخطاب رضى الله عنه: " إن رسول الله صلى الله عليه وسلم عرضه يوم أحد[1] وهو ابن أربعة عشرة سنة، فلم يجزنى، ثم عرضنى يوم الخندق، وأنا ابن خمس عشرة سنة، فأجازنى " [2]. فقول عمر رضى الله عنه " فأجازنى " دليل على أن من استكمل خمس عشرة سنة قمرية تحديدية ابتداؤها من انفصال جميع الولد، يكون بالغا بالسن. فتجرى عليه أحكام البالغين وإن لم يحتلم. فيكلف بالعبادات وإقامة الحدود. ويستحق سهم الغنيمة وغير ذلك من الأحكام[3]. ويجرى هذا خلافا للقوانين الوضعية السارية الآن والتى تعفى الطفل من المسئولية إلى أن يبلغ الثامنة عشرة من عمره....

وهكذا ينجح الوالدان في الوصول بطفلهما إلى بر الأمان باستفادته من وصاياهما وإرشاداتهما المتمشية مع تعاليم الإسلام، والأخذ بما في القرآن الكريم والسنة النبوية المباركة من الإرشادات الاجتماعية والصحية التي تتمشى مع هدى الله تعالى وهدى رسوله صلى الله عليه وسلم. فيكُبُر الأطفال ويصيرون صبية وشبابا

(1) يعنى أوقفه ضمن المعروضين عليه لقبولهم في الجيش أورفضهم.
(2) ص253من الجزء الثانى من كتاب اللؤلؤ والمرجان - تحقيق الدكتور محمد فؤاد عبد الباقى - لم يجزنى: أى لم يثبتنى في ديوان المقاتلين ولم يقدر لى روقا مثل أرزاق الجنود.
(3) هامش الصفحة ذاتها من المرجع السابق.

صالحين يحفظون لأمهاتهم وآبائهم فضل تنشئتهم الإسلامية لهم. ويصدق فيهم قول الشاعر:

وينشأ ناشئ الفتيان فينا ::: على ما كان عوده أبوه.

والأب هنا يرمز إلى القوة، قوة التمسك بالمسئولية في ظل مبادئ الإسلام قرآنا وسنة. ولا يقصد الشاعر أن يُقْصِرَ الفضل فقط على الآباء. فالأمهات أيضا شريكات للآباء في غرس هذه القوة في عزائم الصغار..

* * *